وترى اللّه فيهم مالك الأمـ ـر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال آخر في قصيدة:

أصبحت مقلتي تسح الدموعا إذ رأت سيد الأنام خليعا
لهف نفسي عليه ما كان أملا ه وأسراه تابعاً لتبوعا
ألزموه ذنباً على غير حرم فثوى فيهم قتيلاً صريعا
وبنو عمه وعم أبيه أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ولا يغـ ـزى عدو ولا يكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك.

١٤ ـ المهتدي

هو محمد المهتدي باللّه بن هارون الواثق بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب، (ولد سنة ٢١٨) وبويع له بالخلافة بعد أن خلع المعتز نفسه لثلاث بقين من رجب (سنة ٢٥٥) (١١ يوليه سنة ٨٦٩) ولم يزل خليفة إلى أن خلع في (١٤ رجب سنة ٢٥٦) (١٧ يونية سنة ٨٧٠) فكانت مدته ١١ شهراً وأياماً.

كيف انتخب:

لما عزم الأتراك على خلع المعتز أرسلوا إلى بغداد فأحضروا محمداً هذا وقد كان المعتز نفاه إليها واعتقله فيها فأتي به في يوم وليلة إلى سامرا فتلقاه الموالي في الطريق ودخل إلى الجوسق فعرضوا عليه الخلافة فأبى أن يقبلها حتى يرى المعتز ويسمع كلامه فأتي بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد وثب إليه فعانقه وجلسا جميعاً على السرير فقال له محمد: يا أخي ما هذا الأمر؟ قال المعتز: أمر لا أطيقه ولا أقوم به ولا أصلح له، فأراد محمد أن يتوسط أمره ويصلح الحال بينه وبين الأتراك فقال المعتز: لا حاجة لي فيها ولا يرضوا بي لها فقال محمد: فأنا في حل من بيعتك قال: أنت في حل فلما جعله في حل من بيعته حول وجهه عنه فأقيم عن حضرته ورده إلى محبسه وكان من أمره ما قدمنا.

وزراء المهتدي:

أبقى المهتدي محمود بن جعفر الإسكافي على وزارته مدة قليلة ثم عزله واستوزر من بعده سليمان بن وهب بن سعيد. وهو من بيت قديم في الكتابة منذ عهد معاوية ابن أبي سفيان وكان

جده سعيد في خدمة آل برمك وكان أبوه وهب في خدمة جعفر بن يحيى البرمكي ثم تحول إلى ذي الرياستين الفضل بن سهل وهو القائل فيه عجبت لمن معه وهب كيف تهمه نفسه؟ ثم استكتبه الحسن بن سهل بعده أما سليمان فكتب للمأمون وعمره (١٤ سنة) ثم لإيتاخ ثم لأشناس وولي الوزارة للمهتدي وللمعتمد وكان أخوه الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ومن ظريف المدح ما قاله أبو تمام في سليمان بن وهب:

كل شعب كنتم به آل وهب ... فهو شعبي وشعب كل أديب
إن قلبي لكم لكالكبد الحر ... ي وقلبي لغيركم كالقلوب

وقال فيه البحتري:

كأن آراءه والحزم يتبعها ... تريه كل خفي وهو إعلان
ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه ... وإن تنم عينه فالقلب يقظان

وكان سليمان أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلاً وأدباً وكتابة في الدرج والدستور وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم واستمر وزيراً للمهتدي إلى أن خلع.

حدث عبد الله الباقطاني وكان يتقلد ديوان المشرق قال: دخلت مع أبي العباس ابن ثوابة إلى المهتدي وكان سليمان بن وهب وزيره وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته فيوقع إليهم في الأعمال فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العلماء فأخذ سليمان بيد أبي العباس ابن ثوابة ثم قال له: أنت اليوم أحد ذهناً مني فهلم نتعاون فدخلا بيتاً ودخلت معهما وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان ما احتاج أحدهما إلى نسخة وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي فقال له وقد قرأها: أحسنت يا سليمان ونعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل وكان سليمان إذا ولى عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً وأجل له مالاً إلى أن يتسلم عمله فقال له: يا أمير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً فإن كان باطلاً فليس مثلك من يقوله وإن كان حقاً وقد علمت أن الأصول محفوظة فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من بر من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال. فقال: إذا كان هكذا فلا بأس ثم قال له: اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده بباقي ما عليه من المصادرة فقال أبو العباس بن ثوابة: كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب في حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك أفنمضي ما تأمر به على ما خيلت أم نقول بالحق؟ قال: بل قل بالحق يا أحمد فقال: يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك أفترى أن أزيل اليقين بالشك قال: لا، قال: فقد شهدت الرجل بالملك وصادرته

عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا فتعجل المصادرة صلحاً فإذا قبضت ضيعته بها فقد أزلت اليقين بالشك فقال له: صدقت ولكن كيف الوصول إلى المال؟ فقال له: أنت لا بد لك من عمال على أعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رفقه ورزقه إلى منزله فاجعله أحد عمالك ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود إليك مالك فأمر سليمان ابن وهب أن يفعل ذلك.

وقد سقنا هذه الحكاية لنبين ما كان عليه العمال إذ ذاك من تحليل الارتفاق وإقامة البرهان بين يدي الخليفة على جوازه وليس ارتفاق العامل إلا رشوة وما هذا المعجل والمؤجل الذي لاحظ المهتدي على وزيره أليس هو رشوة ومع ذلك نراه احتج وأقنع خليفته بأنه لا ضرر فيه وكذلك قول ابن ثوابة فهو حق شيب بباطل وباطل أشبه الحق.

صفات المهتدي:

كان المهتدي من صالح بني العباس يكره الظلم ويحب رفعه وبنى قبة لها أربعة أبواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للمظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع ويؤم بهم وكان فيه ديانة وتقشف حتى أن الجند تأسوا به إلا أن الدولة كانت وصلت إلى الدرجة التي لا يصلحها فيها مثل المهتدي في صلاحه وكثرة عبادته في بدء خلافته كان موسى بن بغا أميراً على الري وقائداً للجنود التي تتولى حرب الحسن بن زيد الطالبي فلما بلغه ما فعل صالح بن وصيف بالمعتز وبيعة المهتدي ترك ذلك الثغر وأقبل مريداً سامرا فكتب الخليفة إليه كتباً كثيرة يطلب إليه بها البقاء بموضعه فلم يفعل ثم أرسل إليه في ذلك رسلاً من بني هاشم فلم يطع وكان صالح بن وصيف يتخوف عودة موسى فكان يعظم انصرافه عن الثغر وينسبه إلى المعصية والخلاف. قدم موسى سامرا حنقاً على صالح فاختفى منه ودخلت جنود موسى على المهتدي وهو جالس للمظالم فأقاموه من مجلسه وحملوه إلى معسكرهم فقال لموسى: ما تريد ويحك اتق الله وخفه فإنك ترتكب أمراً عظيماً فرد عليه موسى خيراً ثم أخذوا عليه العهود والمواثيق ألا يمالىء صالحاً عليهم ففعل فجددوا له البيعة في (١٢ محرم سنة ٢٥٦) ولثمان بقين من صفر قتل صالح بن وصيف بعد خطوب طويلة وكان أصحاب موسى قد اتهموا المهتدي بإخفائه فأرادوا خلعه فانتشر الخبر في العامة فكتبوا رقاعاً ألقوها في المسجد الجامع وفي الطرقات ونص هذه الرقاع (بسم الله الرحمن الرحيم يا معشر المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاهي لعمر بن الخطاب أن ينصره على عدوه ويكفيه مؤونة ظالمه ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه فإن الموالي قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذب منذ أيام والمدبر لذلك فلان وفلان رحم الله من أخلص النية ودعا وصلى

على محمد ﷺ). فلما بلغ ذلك الأتراك خافوا ثورة العامة فأرسلوا إلى المهتدي يخبرونه أنهم يبذلون دماءهم دونه وشكوا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجحفت بالضياع والخراج وما صار لكبرائهم من المعاون والزيادات من الرسوم القديمة مع أرزاق النساء الدخلاء الذين قد استغرقوا كثيراً من أموال الخراج. وهذه الشكوى كانت في الحقيقة بدء انقلاب جديد لو وجدت خليفة قوياً ينتفع بها لأنها عبارة عن تغير الجند على قوادهم الذين أقطعوا ضياعاً كثيرة لم يلتفتوا إلى إصلاحها فخربت وأدى ذلك إلى نقصان الخراج حتى لم يكن عند الخليفة ما يمد به حاجة الجند.

كتب إليهم المهتدي يذكر سروره من طاعتهم وأخبرهم أنه يعز عليه ما ذكروا من حاجتهم ولكن ليس لديه ما يرفع عنهم هذه الخلة وأنه سينظر في أمر الإقطاعات ويسير فيها على ما يحبون. فأعادوا عليه الكتاب مبينين ما يطلبون وهو:

١ ـ أن ترد الأمور إلى أمير المؤمنين في الخاص والعام ولا يعترض عليه معترض.

٢ ـ أن ترد رسومهم إلى ما كان عليه أيام المستعين وهو أن يكون على كل تسعة عريف منهم وعلى كل خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد.

٣ ـ ألا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها.

٤ ـ أن يوضع لهم العطاء كل شهرين على ما لم يزل.

٥ ـ أن تبطل الإقطاعات وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من شاء ويرفع من شاء.

وذكروا أنهم سيصيرون إلى باب أمير المؤمنين حتى تقضى حوائجهم وأنه إن بلغهم أن أحداً اعترض على أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك ومفلحاً وياجور وبكالبا وغيرهم.

وهذه المطالب كلها في مصلحة الخلافة لذلك أجابهم إليها المهتدي موقعاً بخطه إجابة إلى كل ما سألوا. فوصلهم كتابه وفيه اعتذار عن رؤسائهم ومع كتابه رسل هؤلاء الرؤساء يعتذرون إليهم.

فأعادوا الكتاب يقولون لا نرضى حتى يخرج الخليفة خمسة توقيعات بطلباتهم ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ليسفر بينهم وبينه بأمورهم ولا يكون رجلاً من الموالي وأن يحاسب الرؤساء على ما عندهم من الأموال وكتبوا إلى القواد بمثل ما كتبوا به إلى المهتدي وأخبرهم أنه إن شاكته شوكة أو أخذ منه شعرة أخذوا رؤوسهم جميعاً.

فلما جاء كتابهم المهدي كتب لهم بكل ما يريدونه ودفع لهم التوقيعات الخمسة التي طلبوها

وكذلك كتب لهم موسى بن بغا فلما وصلتهم الكتب والتوقيعات كان بينهم اختلاف وهرج كثير فطائفة يقولون نريد أن يعز الله أمير المؤمنين ويوفّر علينا أرزاقنا فإنا قد هلكنا بتأخيرها عنا ـ وطائفة يقولون لا نرضى حتى يولي علينا أمير المؤمنين أحد إخوته فيكون واحد بالكرخ وآخر بسامرا ولا نريدا أحد منا يكون علينا رأساً ولم يكتبوا للمهتدي جواباً شافياً. فأرسل إليهم المهتدي يسألهم عن سبب اجتماعهم بعد أن أجيبت طلباتهم فتفرقوا ثم عادوا إلى الاجتماع.

كانت كل هذه الأحوال فرصاً لخلاص المهتدي من سيادة القواد الأتراك فلم يفعل بل كان ظاهره مع الرؤساء وباطنه مع الجنود ويظهر أنه أراد استعمال الحيلة في الخلاص منهم فأنفذ جنداً لمحاربة خارجي وفيه موسى بن بغا وبايكباك ومفلح فكتب المهتدي إلى بايكباك يأمره أن يضم العسكر الذي مع موسى إلى نفسه وأن يكون هو أمير الجيش وأن يقتل موسى ومفلحاً. فلما وصل الكتاب بايكباك ذهب إلى موسى وأراه إياه وقال له: إني لست أفرح بهذا وإنما هو تدبير علينا جميعاً وإذا فعل بك اليوم شيء فعل بي غداً مثله فما ترى؟ قال: أرى أن تصير إلى سامرا وتظهر له أنك في طاعته فإنه يطمئن إليك ثم تدبر في قتله فقدر بايكباك فدخل على المهتدي فأظهر المهتدي الغضب من مخالفته حيث لم يقتل موسى ومفلحاً فاعتذر إليه بايكباك فاحتبسه المهتدي عنده وأخذ سلاحه ولما رأى الجند الذين معه غيبته عنهم جاشوا وأحاطوا بالجوسق فلما رأى المهتدي ذلك استشار صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور فأشار عليه أن يفعل ما فعله المنصور بأبي مسلم فأمر المهتدي بضرب عنق بايكباك فضرب عنقه والأتراك مطيفون بالجوسق بسلاحهم فلم يرعهم إلا رأس بايكباك بين أيديهم أمر المهتدي برميها. فلما رأوها اضطربوا واستعدوا للقتال فحاربتهم الفراغنة والمغاربة والأشروسنية وكثر بينهم القتل ثم انفصل الفريقان وذهب الأتراك فقووا أنفسهم وجاء منهم زهاء عشرة آلاف وخرج المهتدي وفي عنقه مصحف يدعو الناس إلى نصرته فلما التحم القوم مال الأتراك الذين مع المهتدي إلى إخوانهم وبقي في المغاربة والفراغنة ومن خف من العامة فحملت عليهم الأتراك حملة شديدة فمروا منهزمين معهم المهتدي والسيف في يده مشهور وهو يقول: يا معشر الناس انصروا خليفتكم حتى صار إلى دار محمد بن يزداد وفيها أحمد بن جميل صاحب الشرطة فدخلها ووضع سلاحه فعلم الأتراك خبره فجاءوا إليه وقبضوا عليه وحملوه إلى داره مهاناً وذلك في (١٤ رجب سنة ٢٥٦) ثم خلعوه لما أبى أن يخلع نفسه ثم مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب (سنة ٢٥٦).

١٥ ـ المعتمد

هو أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم وأمه أم ولد كوفية اسمها فتيان ولد (سنة ٢٣١) وبويع له بالخلافة من غير عهد سابق يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب